

(سورة البينة)

{ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ }

{ لم يكن الذين كفروا { أي حجبوا إما عن الدين وطريق الوصول إلى الحق كأهل الكتاب وإما عن الحق أيضاً كالمشركين { منفكين { عما هم فيه من الضلالة { حتى تأتيهم البينة { أي: الحجة الواضحة الموصلة إلى المطلوب وذلك أن الفرق المختلفة المحتجبة بأهوائهم وضلالاتهم من اليهود والنصارى والمشركين كانوا يتخاصمون ويتعاندون ويدعي كل حزب حقيقة ما عليه ويدعو صاحبه إليه وينسب دينه إلى الباطل، ثم يتفقون على أننا لا ننفك عما نحن فيه حتى يخرج النبي الموعود في الكتابين المأمور باتباعه فيهما فتبعه ونتفق على الحق على كلمة واحدة كما عليه الآن بعينه حال هؤلاء المتعصبين من أهل المذاهب المتفرقة وانتظارهم خروج المهدي في آخر الزمان ووعدهم على اتباعه متفقين على كلمة واحدة. ولا أحسب حالهم إلا مثل حال أولئك إذا خرج، أعادنا الله من ذلك، فحكى الله قولهم وبين أنهم ما تفرقوا تفرقاً قوياً وما اشتدّ اختلافهم وتعاندتهم إلا من بعدما جاءتهم البينة بخروجه لأن كل فرقة، بل كل شخص، توهم أنه يوافق هواه ويصوّب رأيه لاحتجابه بدينه، فلما ظهر خلاف ذلك ازداد كفره وعناده واشتدّت شكيمته وضغينته.

{ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً }

{ فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ }

{ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ }

{ وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ }

{ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ }

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ }

{ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ }

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ }

{ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ }

{ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ }

{ رسول } بدل من البينة أي: الحجة القائمة الواضحة { رسول من الله يتلو صحفاً } من ألواح العقول والنفوس السماوية لاتصاله بها بتجرده { مطهرة } من دنس الطبائع وكدر العناصر وذنس المواد وتحريف العباد { فيها كتب قيمة } أي: مكتوبات ثابتة أبدية مستقيمة ناطقة بالحق والعدل لا تتغير ولا تبدل أبداً هي أصول الدين القيم.

{ وما أمروا } أي: أهل الكتابين المحبوبون بأهوائهم عن الدين بما أمروا فيهما

{ إلا } لأن يخصصوا العبادة بالله { مخلصين له الدين } عن شوب الباطل والاتفات إلى الغير { حنفاء } عن كل طريق غير موصل إليه وعن كل ما سواه ويتوصلوا إليه بالعبادات البدنية والمالية، أي: ما أمروا بما أمروا إلا للالتزام بأصول ثلاثة التوحيد على الإخلاص وقطع النظر عن الغير في الطاعة والإعراض عما سواه والقيام بالعبادات البدنية من الأعمال المزكية كالصلاة التي هي العمدة في بابها كقوله عليه السلام: « الصلاة عماد الدين » ،

والقيام بحقائق الزهد من الترك والتجريد كالزكاة التي هي أساسها وذلك بعينه دين الكتب القيمة التي يتلوها هذا الرسول. فالملة الحقيقية الحنيفية واحدة من لدن آدم إلى يومنا هذا، وهي ملازمة التوحيد وسلوك طريق العدالة الشاملة للأصلين الآخرين فلو لم يحتجوا بأهوائهم ولم يحرفوا كتبهم ويتعصبوا بظهور نفوسهم السبعية ولم يقفوا مع شهواتهم ولم يحتجوا بتوهماتهم وتصوراتهم بظواهر أوضاعهم وعاداتهم وأمانيتهم ومراداتهم عن حقائق ما في كتبهم لكان دينهم هذا الدين بعينه. فالحاصل أن المحجوبين من أي الفرق كانوا هم شرّ البرية في نار جهنم الآثار قعر بئر الطبيعة والموحدين بالتوحيد العلمي العاملين على قانون العدالة في اكتساب الفضائل { هم خير البرية } في جنان الخلد بحسب درجاتهم من جنات الأفعال والصفات وأعلى درجاتهم مقام كمال الصفات الذي هو الرضا { ذلك لمن خشي ربه } أي: ذلك المقام مخصوص بمن علته الخشية الربانية عند تجليه بصفة العظمة لأنه إذا تجلى الربّ على القلب بصفة العظمة استولت الخشية على العبد وذلك ليس هو الخوف المنافي لمقام الرضا بل هو حكم التجلي وأثره في النفس، وكما أثبت القدر المشترك للمحجوبين من النار دون النار الكبرى التي للأشقيين أثبت القدر المشترك للموحدين من الجنة دون الجنة العليا التي للعارفين الأتقين فلذلك كان أعلى درجاتها الرضا والسلام.